

نماذج من الخطب المنبرية للشيخ عثمان البشير آدم: (دراسة بلاغية)

MODELS OF SERMONS BY SHEIKH USMAN AL-BASHIR ADAM A RHETORICAL STUDIES

إعداد:

الدكتور/ صالح محمد كبير

08061604069

Kabirsaleh009@gmail.com

و

كلتوم دُنْغُس حسن

08094751174

و

مصطفى موسى زرقان

08064894144

محاضرون بقرية اللغة العربية، إنغالا-نيجيريا

(مركز جامعي للدراسات العربية)

مستخلص المقالة:

تهدف هذه المقالة إلى تحليل وتقييم أنماط البلاغة المستخدمة في خطب المنبرية للشيخ عثمان البشير، وهو أحد الأئمة البارزين في منطقة غمبورو، إنغالا، بولاية برنو-نيجيريا، تتمحور الدراسة حول عرض نماذج مختارة من خطب الشيخ عثمان البشير وتفكيك بنيتها البلاغية من خلال دراسة الأساليب البلاغية التي استخدمتها الشيخ في خطبه، كما تسعى الدراسة إلى استكشاف أثر هذه الأساليب البلاغية في إقناع المجتمع وتأثيرها على الجوانب الاجتماعية والنفسية والدينية للمستمعين. تعتمد المنهجية على المنهج الوصفي التحليلي مع الاستعانة بنظريات البلاغة العربية، وتخلص الدراسة إلى أن خطب الشيخ عثمان البشير تتسم بقوة البلاغة وبراعة استخدام الأدوات البلاغية، مما جعلها فعالة في التأثير على المتلقين وإقناعهم بالرسالة التي يحملها.

Abstract:

This article aims to analyze and evaluate the rhetorical patterns used in the sermons of Sheikh Osman al-Bashir, a prominent imam in the Gamboru-Ngala area, Borno State, Nigeria. The study focuses on presenting selected models of Sheikh Osman al-Bashir's sermons and deconstructing their rhetorical structure by examining the rhetorical techniques he employed. It also seeks to explore the impact of these rhetorical methods on convincing the community and their effects on the social, psychological, and religious aspects of the listeners. The methodology relies on a descriptive-analytical approach, using Arabic rhetorical theories, and concludes that Sheikh Osman al-Bashir's sermons are characterized by powerful rhetoric and skillful use of rhetorical tools, making them effective in influencing and convincing the audience of the message he conveys.

مقدمة:

تعد خطب الشيخ محمد البشير من أبرز النماذج المتميزة للخطابة المنبرية في ولاية برنو. فقد برع الشيخ عثمان البشير في استخدام البلاغة العربية وأساليبها البيانية، وأتقن فن الإلقاء والتأثير على الجمهور. وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على الخصائص البلاغية والبيانية في خطب الشيخ البشير، وتحليل تلك الأساليب البلاغية وأثارها في إيصال الرسالة الدعوية والتربوية إلى المتلقي. سوف تتناول هذه المقالة نماذج مختارة من خطب الشيخ عثمان البشير، وتحليل البنية البلاغية فيها من حيث التركيب اللغوي، والصور البلاغية، وأساليب الإقناع، والتأثير العاطفي على المستمع. كما ستبرز الدراسة مدى إتقان الشيخ عثمان البشير لفن الخطابة المنبرية وإبداعه في توظيف البلاغة العربية.

ترجمة الشيخ عثمان البشير آدم

مولده:

ولد الشيخ العارف، ذو الهمة العالية والأخلاق الكريمة الداعي إلى سبيل الله بأحواله وأفعاله وأقواله عام ١٩٤٤م بقرية طُمبِي الواقعة تحت حكومة كَالَا بَلْقِي المحليّة، وكان أبوه حافظاً للقرآن الكريم، وهو دائماً يساعد الفقراء وطلاب العلم ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم، وكانت أمه راجحة العقل، تهوى الدين والعلم، وتقوم بمساندة الفقراء وطلاب العلم مما كان له أثر كبير في تنشئته وتكوينه^١ الأمر الذي دفع به إلى مساندة الفقراء وطلاب العلم والمعرفة^٢.

نشأته:

نشأ الشيخ الشريف عثمان البشير في رعاية أبيه البشير وشقيقه الشيخ محمد البشير على تربية ميمونة متدينة حيث تعلم القراءة والكتابة وتلقي القرآن الكريم عند والده، وأنه نشأ في جو سعيد ومجتمع تقي، لا يوجد فيه غير الاستقامة بأمر الله ونشر القرآن الكريم وتجويده^٣.
نشأ الشيخ نشأة مليئة بالفضائل والمكارم والعلم والتقوى والعفة وعلو الهمة والصمود أمام الحق ليله ونهاره، وكان قواماً صواماً مرشداً ومعلماً قضى العمر كله في العبادة، وكانت نشأته بارزة في رفع الكفاءة الإنسانية اجتماعياً وثقافياً ودينياً، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله^٤.

^١ مقابلة مع ابن عبد القادر دنقس في مدينة ميدغري الساعة العاشرة صباحاً يوم ٢٥/٨/٢٠١٦م

^٢ القاضي أبوبكر إمام، مذكره نور الهدى في نشأة زاوية الشيخ محمد البشير (مخطوط)

^٣ موسى كليم القالي، علماء غمبورو انغالا وإنتاجاتهم الأدبية بحث تكميلي مقدم لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة ميدغري

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ١٩٩٥م ص: ٤٠

^٤ آدم حسن التوم، زاوية الشيخ محمد البشير غمبارو - انغالا ودورها في نشر الثقافة العربية، بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة ميدغري قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ١٩٩١م ص: ٢٩

وعرف الشيخ الشريف عثمان بقيامه لله تبارك وتعالى وجده في سبيل نصرته الدين وفي سبيل رفع راية الإسلام.

علماء الشيخ وشيوخه:

تلقى القرآن الكريم عند والده، ثم انتقل إلى الحلقات العلمية لينهل من مشاربها، فالتقى بصفوة من العلماء الأجلاء الذين نبغوا في شتى الفنون والمعارف منهم:

١. شقيقه وشيخه الشيخ الشريف محمد البشير، أخذ عنه مختلف الكتب منها في الفقه وعلم الحديث، وغير ذلك.^٥

٢. الشريف حسين هارون،^٦ أخذ عنه القرآن الكريم

٣. المقرئ الغوني ميكائيل درس عنده العلوم اللغوية والدينية^٧

٤. لشيخ أحمد علي أبي الفتح، جدد عليه الشيخ الطريقة التجانية، وأقبل عليه إقبال تاما في أخذ العلوم والمعارف.^٨

٥. الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسني، أخذ عنه الفقه وعلم الحديث ومصطلحه وغير ذلك.^٩

تلاميذ الشيخ:

كما هو معروف لدى كل معلم أو شيخ أن يكون له مجالس علم يغشاها تلاميذه ومريدوه، هذا وقد أخذ عن الشيخ الشريف عثمان البشير جم غفير من العلماء دروسا وتوجيهات علمية من خلال الحلقات واللقاءات اليومية التي خصها لكبار تلاميذه، بالإضافة إلى الدروس الرمضانية لتفسير القرآن الكريم وتتلמד على يديه جمع غفير منهم:

- المقرئ الغوني محمد جميل^{١٠}

- الخليفة الشيخ موسى بن الشيخ محمد الأمين التشادي^{١١}

^٥ الشيخ محمد البشير آدم، عالم متجروشاعر فذ، ولد عام ١٩٣١م بقرية جداري التابعة لحكومة انغالا المحلية رحل مع والده وشقيقه صاحب الترجمة إلى السودان في طريقهم إلى حج بيت الله، أخذ العلم عن علماء في السودان، ورجع إلى سقط رأسه في عام ١٩٦٠م، وأسس زاوية غمبورو انغالا واستقر بها حتى توفي في سنة ١٩٦٨م.

^٦ وهو حافظ من القرآن الكريم وله حلقات لتحفيظ القرآن الكريم وتوفي سنة ٢٠٠٧م

^٧ المقرئ القوني ميكائيل، من حفاظ كتاب الله العزيز وهو من مواليد منطقة مرتي، ارتحل إلى السودان بعد الحج إلى بيت الله الكريم واستقر بها، التقى به الشيخ في السودان وأخذ عنه بعض العلوم، رجع إلى نيجيريا واستقر بمدينة غمبورو انغالا، وتوفي بها في الثمانينات ولم توفق الباحث في ضبط التاريخ.

^٨ هو الشيخ أحمد بن علي اليرواوي ويكنى بأبي العباس جريا على عادة السادة الصوفية وقد اشتهر بين العامة والخاصة بكنية أبي الفتح ولد في شهر رجب عام ١٣٤٣هـ

^٩ هو الشيخ إبراهيم صالح الحسني، ولد في منطقة الفضاء حوالى مدينة ديكوا ثم حمل إلى قرية قرب ديكوا شي عريدية سنة ١٩٣٨ وهو عالم فقيه وصوفي ولغوي ومحدث، له شهرة واسعة دافق نيجيريا وخارجها له مؤلفات عديدة، ولان الا عطاؤه مستمر.

^{١٠} هو رجل حافظ القرآن مقرئ له تلاميذ كثيرون توفي وهو بناصر ٧٠ سنة وكان من كبار علماء زاوية غمبورو

^{١١} هو من تلاميذ الشيخ هو حافظ للقرآن الكريم وله حلقات الدراسية خاصة في رمضان وله تلاميذ كثيرون

– المقرئ الغوني محمد آدم الأمين الملقب بأبه الكأس^{١٢}

– الدكتور موسى كليم القالي^{١٣}

مؤلفات الشيخ رضي الله عنه:

كتب الإمام الشيخ الشريف عثمان البشير العديد من الكتب لا زالت مخطوطة لم تحظ بالطباعة والنشر، وتناول فيها عدة قضايا تخص مجتمعه وقومه، مما يخص الأمور الدينية والاجتماعية، ومن ضمن تلك المؤلفات:

ألف رضي الله عنه مجموعة من الخطب، سماها – إقتباسات خطب الجمعة – وهي مجموعة خطب دينية ألقها في أغراض شتى كالوعظ والحض على فعل الخيرات والترهيب.

له كذلك رسائل وخطب إجتماعية مدونة، وله خطب طويلة تناول فيها فضل بناء المساجد وطلب العلم والتقوي، وأخرى تضمنت كيفية سيره بالدعوة الإسلامية، وأخرى تناولت المحافظة على شروط الطريقة التجانية والأحكام الشرعية.^{١٤}

لمحة عن فن الخطابة العربية

تعريف الخطابة:-

إن لفظ الخطابة واحد من الصيغ المصدرية الأربعة، خَطَبَ، يَخْطُبُ، خَطْبًا، خُطَابَةً. الخطبة: الشأن والأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما شأنك أو أمرك. وخطب المرأة يخطبها خطبا، والخطبة التقدم لطلب يد المرأة للزواج منها^{١٥} قال الجوهري وخطب الخطيب على المنبر خُطْبَةً بضم الخاء ورجل خطيب، أي صار خطيباً.^{١٦}

وقال الجوهري: خطب على المنبر خُطْبَةً بضم الخاء. وخطبة المرأة خُطْبَةً بكسر الخاء واختطب فيها^{١٧} وفي المنجد: خَطَبَ، يَخْطُبُ، وَخَطْبًا، وَخُطَابَةً^{١٨}.

الخطابة إصطلاحاً:

فن من فنون النثر، أركانه الكلمة الفصيحة، والعبارة البليغة. يستعملها الخطيب لإقناع سامعيه بأفكاره الصائبة، أو نشر عقيدته، أو لنقل مشاعره، وأحاسيسه النفسية.^{١٩}

^{١٢} هو من كبار الحفاظ وهو غوني وله حلقات لتحفيظ القرآن الكريم وهو مدير معهد الشيخ محمد البشير بزاوية غمبورو انغالا

^{١٣} وهو من كبار تلاميذ الشيخ العلماء أحيانا يخطب في الجمعة وهو رئيس قسم الدراسات التمهيدية لقرية اللغة العربية غمبورو انغالا

^{١٤} محمد عثمان أبوبكر، (الدكتور) نخبه من العلماء العرب في منطقة غمبورو انغالا وآثارهم العلمية من ١٩٦٥ إلى ١٩٩٩، (د.ت) ص: ٢٧

^{١٥} ابن منظور لسان العرب، المجلد الأول، ص: ٣٦١

^{١٦} آدم أدريس جبريل، دور خطب الشيخ إبراهيم صالح الحسيني – الجمعة في نشر لنيل شهادة الليانس ص: ٥٦

^{١٧} المرجع السابق

^{١٨} لسان العرب لابن منظور ص: ٢

^{١٩} عبد البستاني معجم لغوي مطول جزءان ، مكتبة لندن ١٩٩٢ ص: ١٨٥

وعرفها أرسطو (Aristotle) بأنها القوة القادرة على الإقناع^{٢٠} وهذا التعريف أقرب إلى المنطق منه إلى الفن، وقد ذكروا أن أرسطو كان يضم الخطابة إلى المنطق لا إلى الفن. عرفها آخر: الخطابة علم يقتدر بتطبيق قواعده وبدعامة الملكة الراسخة في نفس المتكلم على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحلهم على ما يراد منهم بإقناع العقل وإمتاع النفس.^{٢١} وجاء في الموسوعة الحرة أن الخطابة هي الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم.^{٢٢} وعرفها الدكتور صالح علي بن أبو عراد: إن الخطابة فن أدبي راق، وهي صناعة عظيمة تهدف إلى التأثير في نفوس الآخرين، كما أنها تعد أبرز وسائل مخاطبة الجماهير منذ القدم في شئون الحياة المختلفة للدعوة والتعليم والتوعية واستنهاض الهمم وحل المشكلات وفك النزاعات وقيادة الجماهير وغير ذلك من الأحوال والمناسبات المتنوعة.^{٢٣} ويرى أحمد الهاشمي أن الكلام من فصيح نابه الشأن يلقيه على جماعة في أمر ذي بال وهو ما يسمى الخطابة.^{٢٤}

نشأة الخطابة

إن الخطابة لون من المحادثة، والمحادثة رافقت الإنسان منذ وجوده على ظهر المعمورة، ولكن الخطابة تميزت بحقيقتها عن مطلق محادثة إلى فن، واختصت بالجماهير دون الأفراد، وقصد بها التأثير والاستمالة.

إذا فلا بد أن تكون في نشأتها استجابة لما دعت إليه حاجة الجماهير بعد توسع ميادين الحياة وتعدد اتجاهاتها، وما يصحبه من اختلافات تدعو إلى توحيد فكر، أو إقناع برأي، والتأثير على المخاطبين، وإذا لاحظنا الأديان والرسالات السابقة أدركنا مقتضيات وجودها ونشأتها كفن متميز.^{٢٥} لأن الأنبياء استخدموا الخطابة في الوعظ والإرشاد ودفع الناس عن عبادة غير الله، وجاء القرآن يخبرنا عن ذلك في قوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾^{٢٦} ومارسها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بيته رضوان الله عليهم في دعوة الناس إلى الإسلام والابتعاد عن الفتن.^{٢٧} فهي إذًا وليدة رقي فكري، وتقدم اجتماعي، قضت زمنا حتى ارتفعت وتميزت أولا بالجماهير، وثانيا اختصت بأغراض خاصة ومواقف معينة، وثالثا اتسمت بأسلوب وهيئة حتى وصلت إلى عصور التاريخ والتدوين على الحالة التي

^{٢٠} جرجي زيدان تاريخ الأدب العربي، ص: ٤٥

^{٢١} أحمد محمد الجوقي - فن الخطابة، ص: ١٤

^{٢٢} فن الخطابة ص: ٢٠

^{٢٣} أبو عراد صاع بن علي الدكتور، الجامع في الرسائل والدكتور، جمعة على ابن نائف السعود، د. ت. د. ط.

^{٢٤} حمد الهاشمي، جواهر الأدب ص: ٢٦

^{٢٥} الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص: ١٧٨

^{٢٦} سورة ص الآية ٢٠

^{٢٧} منتدى مصر بموقع <http://forum - Egypt.com>

وصلت إليها من حقيقة مميزة عن غيرها، ولم تنزل في رقي وتقدم حتى أصبحت عنواناً على منزلة الأمم ومكانتها، كما دلت الخطابة على منزلة وفد العرب على كسرى.^{٢٨}

وقد استعملت الخطابة في المحاكم اليونانية كفن على يد كراكس (Corax) في القرن الخامس قبل الميلاد، وفي روما اشتهر سيسرو (Cicero) كأول خطيب لروما في القرن الأول قبل الميلاد.

هذا، وإن أول من كتب في فن الإلقاء هو أرسطو صاحب كتاب الخطابة. كما أن أول من دون علم الخطابة هم اليونانيون. وأول خطيب مشهور هو فرعون، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١﴾^{٢٩}. وكان للخطابة شأن عظيم في العصر الجاهلي فكان للخطيب مركز ممتاز لا يقل عن مركز الشاعر، حتى إن أبا عمرو بن العلاء يقول: "إن الخطيب في الجاهلية كان فوق الشاعر"^{٣٠}.

وأول من جمع قريشاً وخطبهم ونبه على أن النبي منهم هو قصي بن كلاب، وأول من خطب على العصا وعلى الراحلة قس بن ساعدة الإيادي، وأول من عمل المنبر تميم الداري علمه النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد رأى منابر الكنائس بالشام، وأول من إرتجل عليه في الخطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: أيها الناس إن الذين كانا من قبلي كانا يعدان لهذا المقام مقالاً وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل، وستأتيكم الخطبة على وجهها في الجمعة الأخرى ثم نزل، وأول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمه. وأول من أقام الجمعة بالمدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارَةَ الأنصاري ببني بياضة. وأول من رفع يده في الخطبة يوم الجمعة عبيد الله بن عبد الله بن عمر.^{٣١}

ولقد تطور فن الخطابة لدى العرب حتى أحدثوا لها فنوناً لم تكن للأمم قبلهم، وقد اتخذوا من مجالسهم في مضارب خيامهم ومن أسواقهم ومن ساحات الأمراء ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم في المقال وحوك الكلام. ولقد تفنن العرب في هذا الفن ووصلوا إلى قمته.^{٣٢}

ب/ أنواع الخطابة

تتنوع الخطب بحسب موضوعها إلى ما يلي:-

الخطبة الوعظية (الدينية)، الخطبة السياسية، الخطبة القضائية، الخطبة الاحتفالية، الخطبة الاجتماعية، الخطبة الحربية.

^{٢٨} سالم عطية محمد (الشيخ) أصول الخطابة والإنشاء المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص: ١٢٥

^{٢٩} سورة الزخرف الآية ٥١

^{٣٠} خفاجي، محمد عبد المنعم الدكتور، الشعر الجاهلي ص: ١٥٢

^{٣١} أحمد علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء الناشر: دار دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨٧، تحقيق: د. يوسف علي طويل ص:

٤٢٩/١

^{٣٢} المرجع السابق ص: ٤١٢

وفيما يلي يتناول الباحثون شيئا من الحديث عن أنواع الخطابة:

١/ الخطبة الدينية

تعريفها:

هي التي تعتمد على إثارة العاطفة لتحبيب إليها الخير، وتنفرها من الشر، وتوجهها إلى تقوى الله وحبه وخشيته.

عادة تفتح قلوب السامعين للخطب الدينية: لتصلها بالخالق سبحانه وتعالى، لذلك تعلقو بهم عن الأرض إلى السماء، وتبصرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، لأن الخطيب يتكلم من قبل الله، لسبب اتصال الدين والروح، ولتكون ثمرة الخطبة سعادة الفرد والمجتمع.^{٣٣}

٢/ الخطبة السياسية

تعريفها:

هي التي تدور حول الشؤون العامة للدولة، فتشمل الخطب التي تلقى في البرلمان، وفي المجتمعات الانتخابية، والأندية الحزبية، والمؤتمرات الدولية السياسية، سواء تعلقت بأمر خارجي كالمعاهدات والحرب والسلام، أو بأمر داخلي كالعليم والاقتصاد والزراعة والتشريع ونظام الحكم.^{٣٤}

٣/ الخطبة القضائية

تعريفها:

هي التي تلقى في المحاكم سواء كان الملقى ممثل النيابة أو المحامي عن المتهم. غايتها: تمييز الحق من الباطل، والفصل في المنازعات، ومساعدة العدالة على القصاص من الجاني، وتبرئة المتهم البريء، وحماية المجتمع من الجريمة، ولذلك يجب أن يتعاون القاضي والنائب والمحامي على إحقاق الحق، ونصرة المظلوم، ومحاربة الجرائم. ومن الباطل أن يحترف بها بعض المحامين للاستغلال وكسب المال، وذلك لبراءة المجرم الآثم بقوة البيان، وفصاحة المنطق، وذلالة اللسان، وهم يعلمون أنه أثيم، ولكنهم يبتدعون الحيل لإفلاته بدعوى أنه لم يجرم، على أنهم في حل من أن يحاولوا تخفيف العقوبة ببيان دوافع الجريمة وظروفها وعللها.

ولخطورة الخطابة القضائية نظر إليها القدماء نظرة فيها وجل وتردد، مخافة أن تتأثر العدالة بخلاصة الخطابة.^{٣٥}

^{٣٣} أحمد محمد الجوقي - فن الخطابة ص: ١٠٢

^{٣٤} نفس المرجع ' نفس الصفحة

^{٣٥} أحمد محمد الجوقي، فن الخطابة مرجع سبق ذكره ص: ٩١

٤/ الخطبة الاحتفالية

الخطب التي تلقى في المحافل لتكريم أو تأبين، أو في تهنئة بنعمة خاصة أو عامة، أو في علاج مشكلة اجتماعية. وهذا النوع يكاد يكون موقوفا سماعه على الخاصة وأنصاف المثقفين، فقلما يسمعه العامة، ولهذا رأى شيشرون أنه أصعب الأنواع كلها، لأن السامعين من الطبقة الممتازة، فلا يستطيع الخطيب أن يلقي الكلام بغير تروية فيه وتجويد.^{٣٦}

للخطبة الاحتفالية أنواع:

١/ خطبة التكريم والمديح

هي التي تقال في ثناء على عظيم أو ذي فضل. ومهمة الخطيب أن يبرز سمات عظمة المكرم وفضله.^{٣٧}

٢/ خطبة التأبين

هي الخطبة التي تلقى على قبر الرجل العظيم أو المتوفي العزيز، أو في حفل تأبينه، أو في ذكرى وفاته.^{٣٨}

فيبين الخطيب عظم الفجيعة فيه، ويعدد مناقبه، ويجلي آثاره، ويواسي آله وأحبابه.

٥/ الخطبة الاجتماعية

هي الخطبة التي تعرض لدراسة مشكلة من مشكلات المجتمع، فتبرز العيوب وأسبابها، فإذا اعتمد الخطيب على الدراسة وحدها، ولم يضيف إليها الإلقاء الخطابي فهو محاضر لا خطيب. وإذا أضاف إلى الدراسة إثارة المشاعر بفن الخطابي، وتصويره الجميل، وتخيله الساحر فهو خطيب لا محاضر.^{٣٩}

تطور الخطابة عبر العصور الأدبية

أولاً: العصر الجاهلي:-

إن للخطابة شأنًا عظيمًا في حياة العرب الجاهلية، لكون حياتهم حافلة بالظروف الحياتية، والأحداث الجديدة التي تواجههم كل وقت وحين. من ذلك: حروبهم المستمرة، وتقلبات حياتهم اليومية. الأمر الذي جعلهم في أمس الحاجة إلى تبادل الآراء فيما بينهم، وتقليب أمورهم مجتمعين، فكان من الضروري أن يكون لكل قبيلة خطيب أو أكثر يخاطبهم في أسواقهم ومجتمعاتهم، يعظم تارة ويستنصرهم أخرى، ويحسمهم ثالثة، كما هي الحالة عند نظيره الشاعر.^{٤٠}

^{٣٦} الجوفي فن الخطابة ص: ٩٢^{٣٧} المرجع السابق ص: ٩٣^{٣٨} نفسه المرجع السابق ص: ٩٥^{٣٩} نفسه المرجع السابق ص: ٩٧^{٤٠} أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص:

فالخطابة كالشعر من جانبها الخيالي والبلاغي، فهي مظهر من مظاهر الحرية والفروسية ومن وسائل التأثير العقلي والإقناع، والافتخار بالحسب، والنسب، والشرف، إضافة إلى إصلاح ذات البين بين الحين والآخر، فكان في بادئ أمر هذا العصر، الشاعر أكبر قدراً في مجتمعه، فلما كثر الشعراء والشعر وبدأ التسوق والارتزاق والتعرض لأعراض الناس بدأ فيه ارتفاع شأن الخطيب على الشاعر^{٤١}.

فمصدق ذلك قول الجاحظ: "كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر"^{٤٢}. إلا أن الجاحظ يقتصر على كثرة الشعراء. وغيره يذكر أسباباً أخرى غير هذه الأسباب منها: اتساع موضوع الخطيب لكونه يشارك الشاعر في التفاخر، والتنافر عن قومه، وكذلك في الحز على القتال. ويضيف الخطيب إلى ما لا يفعله الشاعر، كالوفادة على الملوك، والنصح والإرشاد، إضافة إلى خطب الزواج، والدعوة إلى السلم.^{٤٣}

مميزات الخطابة الجاهلية

تمتاز الخطابة الجاهلية عن غيرها بأمور:-

- ١- استعمالهم العبارات القصيرة، مع اللجوء إلى السجع القصير الفواصل،
- ٢- الإيجاز والبلاغة في التعبير.

ثانياً: عصر صدر الإسلام

إتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الخطابة أداة للدعوة الإسلامية، ووسيلة إلى إقناع الناس وترغيبهم إلى مكارم الأخلاق، فكان يخطب في الناس داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{٤٤}.

وكان يحاول في كل ذلك إيقاظ ضمائرهم بما يصور لهم من قوة الخالق عز وجل الذي دبر هذا الكون ونظمه، ويوضح لهم أنه تعالى لم يخلق البشر عبثاً. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^{٤٥} وإنما خلقهم ليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^{٤٦} وأن يتمثلوا بكل الكماليات الروحية.

^{٤١} حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي الطبعة البوليسية دار المعارف ١٩٦٠م ص: ٢٠٠، و ٢٠١

^{٤٢} الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق د. دوريش جويدي بيروت لبنان ٢٠٠٨م ج ١/ ص: ٢٤١

^{٤٣} حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي ص: ٢٠٣

^{٤٤} سورة الإسراء ١٤٥

^{٤٥} سورة الإسراء ١٢٥

^{٤٦} الزاريات: ٥١

هذا، وكان ظهور الإسلام ظاهرة لتطور الخطابة تطورا واسعا في مكة المكرمة. ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، واصل خطابته هناك، حيث أخذ بوساطتها يشرح للمسلمين دينهم الجنييف، ويرسم لهم حدود دولتهم، ويرتب لهم نظم حياتهم التي ينبغي أن تبني على الإخاء والمساواة، والتعاون في الخير وإلى سبيل الحق امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^{٤٧}.

ومن ثم صارت الخطابة في هذا العصر فرضا مكتوبا في المجمع، والأعياد، ومواسم الحج، وغير ذلك من شعائر الدين الإسلامي اجتماعيا، وسياسيا وثقافيا، وغيرها مما يستدعي الخطابة.

مميزات الخطابة في عصر صدر الإسلام

تتميز الخطابة في عصر صدر الإسلام بمميزات منها:

- ١- إتخاذها أسلوبا للدعوة إلى الله
- ٢- إظهار روح الإسلام،

ثالثا: الخطابة في العصر الأموي:-

أما الخطابة في العصر الأموي فقد ازدهرت ازدهارا واسعا لعوامل كثيرة، منها:-
المحافظة على السليقة العربية بينهم، فكانوا اصحاب البلاغة والبيان في الإفصاح والتبيين.
إضافة إلى المعارضات السياسية التي دارت بينهم في من هو أحق بالخلافة. أهى لبني أمية خاصة؟ أم للمسلمين عامة؟ أو ترد إلى بني هاشم من أبناء علي؟ أو للعرب قاطبة؟ وهكذا.
هذه الأمور أسهمت جدا في إزدهار الخطابة. لأنه كان لكل فرقة خطيب يؤيد رأيا أو يعارض آخر.
وقد قام خطباء كل من هذه الفرق بألستهم الحادة يصورون مذاهبهم السياسية، ويدعون لها، ويعارضون الخلافة الأموية. كما قام بنو أمية بالرد عليها، وتبرير ما كانت عليه خلافتهم من حق^{٤٨}.

مميزات الخطابة في العصر الأموي:

- ١- إمتطاء المنابر، والرواحل والنشوز.
- ٢- إتخاذ العصي والعمائم.
- ٣- والاستعانة بالإشارات اليدوية.
- ٤- الميل إلى السجع في قصصهم.

^{٤٧} سورة المائدة: ٢

^{٤٨} شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، ج/٢ ص: ٤٠٤، ٤٠٦.

رابعاً: الخطابة في العصر العباسي

قد خلفت الدولة العباسية الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ واتخذت بغداد مقراً لحكمها تاركة دمشق التي كانت عاصمة لدولة بني أمية. وقد تركت شئون الحكم الدولي في أيدي الفرس الذين ساهموا في القضاء على خلفاء بني أمية قضاء صارماً، حيث أصبحوا هم السادة الذين لهم القول الفصل والحكم المنفذ دون العرب، فقد أصبح العرب صورة فقط في الدولة لا يملكون كلمة ولا نفاذاً. واصل النثر العباسي من فنونه وأساليبه التي ورثها من العهد الأموي، قبل أن يتمكن الأعجام على عرش الخلافة ويصيروا، هم الأمر النهائي في الخلافة. كانت الخطبة تلقى على مسامع الناس لأغراض:

فإن من أكبر دواعي الخطابة: الوفاة، والعصية، والحزبية. وهناك خطب دينية تلقى في الأعياد والجمع والخطب الاجتماعية في المدح أو الذم أو الاستعطاف أو العتاب، ففي أوائل العهد العباسي كانت أسباب الخطابة قوية لما حصل من انقلابات خطيرة وظهور دعوات مذهبية شديدة، وثورات عديدة، إضافة إلى أثر اختلاط العرب بالعجم. وهكذا إلى أن يستحكم الأمر لبني العباس ويصبح الفضل للسيف، والسلطان. بدل الفصاحة واللسان، لأنه لما استطاع العباسيون إخماد نيران الفتن الحزبية العربية وثوراتها، ويتمكن الأجانب على عرش الدولة ضعفت الفصاحة العربية، وضعف معها الخطباء. الأمر الذي جعل الناس ينصرفون إلى الثقافة، والكتابة لإقناع الناس بدل الخطابة، فحلت الرسائل الإدارية والمنشورات الدولية، والمناظرات العلمية، والأدبية محل الخطابة، فصارت الخطابة محصورة في المساجد والجوامع مقتصرة على الموضوعات الدينية في الجمع والأعياد^{٤٩}.

مميزات الخطابة في العصر العباسي

- ١- الميل إلى سهولة العبارة، والتأنق في اللفظ.
- ٢- والإطالة في المقدمات، وإلى التفصيل، والإطناب، وإلى التعميق، والزخرف.
- ٣- الإكثار من السجع، والمحسنات البديعية والاقتباسات الكثيرة^{٥٠}.

عرض لبعض نماذج من خطب الشيخ عثمان البشير.

الأنموذج الأول: الاستعداد لشهر رمضان

ألقاها يوم ٢٧/٢/٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم

الحمد لله الذي شرفنا باتباع سيد الكائنات، وجعل الديانة الإسلامية فوق جميع الديانات، وهدانا إلى الحق بالآيات البينات، وشرع لنا ما فيه صلاح المعاش والمعاد، نحمده تعالى على نعمه الوافرة،

^{٤٩} شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ج ٢/ ص: ٣٩٩.

^{٥٠} أحمد الهاشمي جواهر الأدب ج ١/ ص: ٤٦٠.

ونشكره على آلائه المتكاثرة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونسأله خير الدنيا والآخرة، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الصائم القائم وعلى آله وأصحابه الأكابر وأولو المكارم، ما تعاقب الجديدان أو كررت المواسم، وعلى التابعين لهم بإحسان في الأقوال والأفعال والاعتقاد، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...﴾^{٥١} أما بعد:

عباد الله لقد أظلكم شهر الصيام والقيام، شهر تلاوة القرآن وإطعام الطعام، شهر مواساة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، فشمروا لطاعة الله عن سواعدكم بجد واجتهاد بالجوع والعطش تأخذون عن أحوال الفقراء والبوساء خير دروس، وبالإمساك عن الطعام والشراب وفضول الكلام تتهذب النفوس، وفائدة الصيام المطابق لأمر الشارع أمر ظاهر محسوس، فيه تطهر الأرواح من درن الذنوب، وبه تصح الأجساد، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير والإنفاق في سبيل الله من الريح، وكان أجود ما يكون في رمضان شهر المتجر الربيع، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يختم القرآن في صلاة التراويح، وكانوا يجودون بأموالهم في رمضان على ذوي الحالة من مريض وصحيح، عباد الله وما عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى فيا نعم المراد الربيع، ألا وإن لكم في رسول الله والذين آمنوا معه إسوة حسنة، ورحم الله قوما يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فعظموها بطاعة الله والإحسان إلى خلقه في هذا الشهر من كل سنة ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^{٥٢} أيها المسلمون أشغلوا أنفسكم وألسنتكم بحمد الله وشكره، وعمروا مساجد الله بحضور الصلوات فيها والاجتماع لتعظيم الله، واذكروا ونوروا ببيوتكم بتلاوة القرآن وعقولكم بتدبره ونبيه وأمره، وزينوا بواطنكم بحب بعضكم بعضا، فإن الله يغفر في رمضان لأهل الذنوب غير ذنوب العداوة والأحقاد، أيها المؤمنون في رمضان بعث الله سيدنا محمدا بشيرا ونذيرا، فيه نصر الله المسلمين ببدر وفتح لهم مكة وكفى بالله وليا ونصيرا، وفيه نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فكان حجة على الكافرين، وللمؤمنين برهانا ونورا، ولهذا افترض الله صيامه والتعبد بقيامه، ووعدنا على ذلك أجرا عظيما وثوابا جزيلا، والله لا يخلف الميعاد، لقد شرع الله للمسلمين في رمضان الصلاة والزكاة والصيام، وأكرمهم فيه بليلة القدر هي خير من ثلاثة وثمانين عاما فتعرضوا فيه لرحمات الله ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾^{٥٣} أيها المسلمون إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وتجلي ربنا بالجود على عباده الأخيار، وبأهى ما كتبه للمؤمنين الأبرار، الصائمين بالنهار

^{٥١} سورة البقرة الآية ١٨٥^{٥٢} سورة المزمل الآية ٢٠^{٥٣} سورة ص الآية ٥٤

والمستغفرين بالأسحار، وضاعف لهم الحسنات، وتجاوز السيئات، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار هذا ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغْيَةِ أَشَرَّ مَقَابٍ ۖ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنَسُّ أَلْمِهَادُ ۖ﴾^{٥٤} فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ويا مومنا بالقرآن تقدم، ويا معرضا عن موائد الإحسان أدبر، إن شئت فصم معنا وإن استحوذ عليك الشيطان فافطر، فإن رحمة الله قريب من المحسن المستغفر، وعذابه شديد على المسيء المستكبر، ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۖ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ أَلْمِهَادُ ۖ﴾^{٥٥} وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ... ﴿تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ﴾^{٥٦} ففي الجنة باب يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون، يوم يقول الله لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ﴾^{٥٧} ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۖ﴾^{٥٨} كان أصحاب سيدنا محمد يعمرن المسجد في ليالي رمضان، بذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن، ولهم بذلك دوي كدوي النحل... ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ﴾^{٥٩} وكان بعضهم يختم القرآن في ليلة قانت آناء الليل يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه الرحيم، وعلى طول القيام بالحبل والعصا قد استعان، وفي عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على أبي بن كعب ليصل بهم التراويح، إحياء لسنة سيد الأكوان ونبى آخر الزمان، وفي حياته الشرعية صلاها جماعة بأصحابه ثلاثة ليالٍ أو ليلتين، والمسجد ملىء، ثم تركها خشية أن تقرض عليهم فيعجز عنها ضعفاء العزائم والأبدان، فيا أهل التراويح، وصلاة الوتر والتسبيح، وعمارة المسجد بالتلاوة وإنارتها بالمصابيح، وأنتم الذين يقول الله فيكم ﴿ءَاخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ﴾^{٦٠} ﴿كُلُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ﴾^{٦١} فجدوا يا عباد الله في طاعة الله ولا تقصروا ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ۖ﴾^{٦٢} وفي ملكوت الله تفكروا، وإذا دعيتم إلى الخير فلبوا وبادروا، ولا تكونوا من الذين إذا قيل لهم لا إله إلا الله استكبروا، وولوا على أدبارهم نفورا ولم يستغفروا، وصوموا نهار رمضان وقوموا ليلاليه واتلوا كتاب الله وتدبروا، ولا يغرنكم الذين تهاونوا بالدين فأفطروا، وتجهروا بالسوء من القول وبالجراءة على الله تظاهروا، وكونوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات واتقوا الله ورابطوا وصابروا وصابروا، يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله

^{٥٤} سورة ص الآية ٥٥-٥٦^{٥٥} سورة آل عمران الآية ١٩٦-١٩٧^{٥٦} سورة البقرة جزء من الآية ١٨٤^{٥٧} سورة الطور الآية ١٩^{٥٨} سورة آل عمران الآية ١٩٤^{٥٩} سورة الفتح جزء من الآية ٢٩^{٦٠} سورة الذاريات الآية ١٦-١٧-١٨^{٦١} سورة آل عمران جزء من الآية ١٩١

وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^{٦٢} ﴿لَنْ تَنفَعَكُمُ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^{٦٣}.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد ورسوله. أما بعد يا إخوة الإسلام أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية.

اللهم أرض عن الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وبذل شمل المحرفين والمبدلين من طوائف المبتدعة أجمعين، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^{٦٤}.

النموذج الثاني: التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم

الحمد لله العلي العظيم ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾^{٦٥} ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^{٦٥} ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾^{٦٦} ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾^{٦٧} الملك الحق المبين الذي على العرش استوى، فسبحانه من إله عظيم وسع كل شيء رحمة وعلماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكم، أحمدده سبحانه، وأشكره على نعم لا أحصي لها عدداً، ولا أبلغ لها منتهى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الكبير الأعلى، عالم السر والنجوى وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى السبيل الأقوم الأقوى، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أئمة العلم والهدى.

أما بعد، فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى لقد طال إعراضكم عن النبي العظيم، تغافلاً وجهلاً، وكثر اشتغالكم بالحطام الفاني الأدنى، وما راقب لكم ما يصد عن الصراط السوي والهدى، وحزنكم

^{٦٢} سورة البقرة الآية ١٨٣

^{٦٣} سورة الممتحنة الآية ٣

^{٦٤} سورة البقرة الآية ٢٠١

^{٦٥} سورة الطارق: ٢-٣

^{٦٦} سورة النجم: ٤٨

^{٦٧} - سورة طه: ٦

على ما فات من عرض^{٦٨} الدنيا. أما أيقظكم ما رأيتموه من حوادث القدر والقضاء، أما وعظكم ما سمعتموه من أخبار من غير ومضى، وأعرض عما جاءت به الرسل، كيف وجدوا عقوبات الذنوب؟ كيف كان الحال ممن طغى وبغى؟ دعته الرسل إلى ما خلقوا له فلم يجيبوا، وأوضحت لهم الكتب ما أمروا به فلم يلتفتوا ولم ينيبوا، ودعته العبر إلى الاعتبار فلم يعتبروا ولم يفيقوا، ففاجأهم أمر الله بغتة وأصيبوا، سل عنهم تلك القبور الدائرة، والقصور الدامرة، وكيف كان السؤال والجواب، وإلى أين صار المستقر والمنتهى والمآب، هل وجدوا من دون الله ملجأ، بل وحرّموا الفوز برضى ربهم والجنات، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا ليوم العرض والجزاء، ولا تكونوا ممن أعرض عن ذكر ربه ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{٦٩}. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^{٧٠} بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، إنه تعالى جواد ملك برءوف رحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد يا إخوة الإسلام، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلانية، واجعلوا الله قبلة لكم في كل أمر من أمور دنياكم وآخرتكم، فالإنسان إما أن يكون في طاعة، وإما أن يكون في معصية، وإما أن يكون في مباح، فإن كان في طاعة فليقيم بها طاعة لله وحده، وإن كان في معصية فليقلع عنها لوجه الله، وهو حينئذ في عبادة التوبة.

اللهم أرض عن الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين،، وبذل شمل المحرفين والمبدلين من طوائف المبتدعة أجمعين، اللهم اجعل هذا البلد آمنا رخاء سقاء وسائر بلاد المسلمين، اللهم أصلح ولاية أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع رضاك برحمتك يا أرحم الرحيم، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^{٧١}

^{٦٨} أي متاع وهو كل ما سوى الدراهم والدنانير اه مختار الصحاح

^{٦٩} سورة النحل الآية ١٢٥

^{٧٠} سورة لقمان الآية ٣٣

^{٧١} سورة البقرة الآية ٢٠١

الظواهر البلاغية لبعض نماذج خطب المنبرية للشيخ عثمان البشير

تحليل خطبة الإستعداد لشهر رمضان

مقدمة الخطبة

الحمد لله الذي شرفنا باتباع سيد الكائنات، وجعل الدين الإسلامي فوق جميع الديانات، وهدانا إلى الحق بالآيات البينات، وشرع لنا ما فيه صلاح المعاش والمعاد، نحمده تعالى على نعمه الوافرة، ونشكره على الآله المتكاثرة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونسأله خير الدنيا والآخرة، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد...

موضوع الخطبة

أما بعد:

عباد الله لقد أظلكم شهر الصيام والقيام، شهر تلاوة القرآن، وإطعام الطعام، شهر مواساة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، فشمروا لطاعة الله عن سواعدكم بجِد واجتهاد الجوع والعطش، تأخذون عن أحوال الفقراء والبوساء خير دروس...

الجزء الثاني من الخطبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا إخوة الإسلام أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية. اللهم أرض عن الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين....

أولاً: أفكار الخطبة: في هذه الخطبة ترى الباحثة الشيخ يتحدث عن أمر الاستعداد لاستقبال شهر رمضان، هذه الخطبة تذكرهم بحلول شهر رمضان تنبههم عما ينبغي لهم أن يقوموا به في هذا الشهر المبارك، وهو تلاوة القرآن وإطعام الطعام ومواساة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، وأن يشمروا لطاعة الله عن سواعدهم بالجِد والاجتهاد والإمساك عن الطعام والشراب، وأن يأخذوا دروساً من أحوال الفقراء والمساكين، ويذكّركم بأن الله شرع لهم في رمضان الصلاة والزكاة والصيام وأكرمهم فيه بليلة القدر.

فافتتح الشيخ خطبته بما يرمز إلى ذلك فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ٧٢

فكان افتتاحاً مشيراً إلى جوهر المعنى الكلي الذي يرد في الخطبة. قائلاً:

عباد الله لقد أظلكم شهر الصيام والقيام شهر تلاوة القرآن وإطعام الطعام...

٧٢ سورة البقرة الآية ١٨٥

كما قال في وسطها: أيها المسلمون في رمضان بعث الله سيدنا محمدا بشيرا ونذيرا، فيه نصر الله المسلمين ببدر وفتح لهم مكة...

ثانيا: شكل الخطبة

ان هذه الخطبة من حيث الشكل تحتوى على مقدمة وعرض وخاتمة، في المقدمة رمز إلى ما سيأتى في العرض كالعادة، هذا يعطي السامع فكرة أن الشيخ سوف يتحدث عن شهر رمضان، ويأتى بموجزها في الخاتمة كالعادة فالخطبة جاءت متوسطة بين الطول والقصر.

وجاءت ألفاظ هذه الخطبة سلسلة منسجمة مع موضوع شهر رمضان فنجد الخطبة مصبوعة بكلمات لها علاقة بـرمضان كتلاوة القرآن – مواسات الفقراء - الصيام – القيام.

وقد حلى الشيخ خطبته بمحسنات لفظية منها السجع الذي لا تكلف فيه وفيما يلي مثال لذلك: الحمد لله الذي شرفنا باتباع سيد الكائنات، وجعل الديانة الإسلامية فوق جميع الديانات، وهدانا إلى الحق بالآيات البينات.

السجع في نهاية الجمل في (الالف التاء)

فهذه السجعات شكلت إيقاعات موسيقية جميلة تجذب المستمع إلى الإصغاء والاستفادة من الخطبة.

علم البديع: يطلق البديع في اللغة على إيجاد الشئ واختراعه على غير مثال قال تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^{٧٣}

فمعنى إبداع السموات والأرض خلقهما وإيجادهما على غير مثال سابق، كما يطلق على الجديد المحدث وعلى الشئ العجيب الغريب.

وفي الاصطلاح: وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية ووضوح الدلالات بخلوها عن التعقيد المعنوي.^{٧٤}

المحسنات المعنوية: وهي تحسين المعنى أولا وبالذات وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا.^{٧٥} فيما سبق تحدث البحث عن أفكار الخطبة وشكلها فيجدر به أن يدرس المواضيع التي تتعلق بالبديعيات فيبدأ بحسن الافتتاح لدراسة الخطبة.

حسن الابتداء أو براعة الاستهلال: هو أن يكون إستهلال الكلام حسنا وسهلا، واضحا مناسبا للمقام بحيث يجذب السامع ويحمله على الإصغاء.^{٧٦}

^{٧٣} السيد أحمد الهاشمي - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص: ٢٠٩

^{٧٤} سورة البقرة الآية ١١٧

^{٧٥} السيد أحمد الهاشمي - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص: ٢١٠

^{٧٦} عبد العزيز علم البديع ص: ٥٢

فقول الخطيب الحمد لله في بداية الخطبة شاهد بلاغي لحسن الافتتاح، مما يدل على أن هذه الخطبة إسلامية ذات مغزى إسلامي، وهذا بدوره له أثر بالغ في نفوس السامعين، لأن براعة الاستهلال أو حسن الافتتاح تهئ ذهن المستمع لموضوع الخطبة، فتجعله مستعداً لمتابعة الخطيب في بقية تفاصيل الخطبة بكل روية.

حسن الانتقال: قول الخطيب (أما بعد) بعد أن قرأ مقدمته على السامعين، فهي عادة الخطباء يذكرونها إذا أراد الانتقال من المقدمة إلى صلب الموضوع.^{٧٧}

فالخطيب بعد أن قرأ مقدمته للمستمعين، جاء بكلمة أما بعد، تمهيداً لحسن الانتقال، وفيه خلاص الخطيب لموضوع الخطبة وهو التحدث عن الاستعداد لشهر رمضان، فبذلك أثر فهم وجذب انتباههم إلى موضوع الخطبة والإصغاء إليه.

الطباق: هو الجمع بين الكلمة وضدها في الكلام الواحد وهو نوعان: طباق إيجاب وهو: ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً مثل: (الموت والحياة). طباق سلب وهو: ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً مثل: (يعلمون ولا يعلمون).^{٧٨}

استعمل الشيخ في خطبته أسلوب طباق الإيجاب ففي قوله: نسأله خير الدنيا والآخرة، الطباق بين كلمتي (الدنيا – الآخرة).

في قوله: وكانوا يجودون بأموالهم في رمضان على ذوي الحاجة من مريض وصحيح: الطباق بين لفظتي (مريض – صحيح).

وفي قوله: واذكروا ونوروا بيوتكم بتلاوة القرآن وعقولكم بتدبره ونهيه وأمره. الطباق بين لفظتي (نهييه – أمره)

وفي قوله: أيها المسلمون إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار) الطباق بين لفظتي (فتحت – غلقت) وبين لفظتي (الجنة – النار).

وفي قوله: وبا هي ما كتبه بالمؤمنين الأبرار الصائمين بالنهار، والمستغفرين بالأسحار، وضاعف لهم الحسنات وتجاوز السيئات. الطباق بين الالفاظ (النهار – الاسحار) و(الحسنات – السيئات).

٥ السيد أحمد الهاشمي حواهر البلاغة في العاني والبيان والبديع ص: ٢٢٧

^{٧٧} المرجع السابق ص: ٢٢٨.

٢- المرجع السابق ص: ٢٣٠.

٣- السيد أحمد الهاشمي حواهر البلاغة في العاني والبيان والبديع ص: ٢٢٣

وفي قوله: فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ويا مؤمنا بالقرآن تقدم ويا معرضا عن موائد الإحسان أدبر وإن شئت فصم معنا وإن استحوذ عليك الشيطان فافطر، فإن رحمة الله قريب من المحسن المستغفر وعذابه شديد على المسيء المستكبر.

الطباق بين لفظتي: (الخير - الشر) و (أقبل - أقصر) و (تقدم - أدبر) و (فصم - فافطر) و (رحمة - عذابه) (المحسن - المسيء).

وترى الباحثة أن الطباقات كلها إيجابية، فهذه الطباقات الإيجابية شكلت وحدات موسيقية جميلة، أدت إلى الانتباه إلى الموضوع ورسوخه في النفس، وإبراز المعنى وتوكيده، لأنه كلما ذكر الشيء وذكر بجانبه ضده زاد المعنى وضوحا وتوكيدا.

المحسنات اللفظية^{٧٩}

المحسنات اللفظية ترجع إلى تحسين اللفظ أصلا، وإن تبع ذلك تحسين المعنى.

الجناس

هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى^{٨٠} وهو نوعان:

أ/ جناس تام وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء هي نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها

نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيَبَثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۖ﴾^{٨١}

فالجناس هنا بين كلمتي (الساعة - ساعة) (الساعة الأولى بمعنى القيامة والثانية بمعنى مطلق

الوقت)

ب/ جناس ناقص (غير تام) وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة.

نحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الخيل معقود بنواصمها الخير) الجناس بين كلمتي (الخيل - الخير).

كما - في قول الخطيب: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الصائم القائم، وعلى آله وأصحابه الأكابر أولو المكارم.

الجناس بين (الصائم - القائم) جناس غير تام. لأن الكلمتان اختلفتا في حرف واحد في الصائم

وهو حرف (ص) وفي القائم وهو حرف (ق).

وفي قوله: يا عباد الله لقد أظلكم شهر الصيام والقيام، شهر تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

الجناس بين (القيام - والصيام) جناس غير تام.

^{٧٩} عبد العزيز عتيق - علم البديع - مصدر سبق ذكره ٥٢

^{٨٠} عبد العزيز عتيق - علم البديع ص: ١٣٨

^{٨١} سورة الزوم: ٥٥

فقد زاد الجناس في رونقة الخطبة وجمالها، مما أدى إلى تحريك مشاعر مستمعيه، وبذلك يغتنم الفرصة في توجيه النصائح التي يريد إيصالها إليهم.

السجع: هو توافق فواصل الجمل في الحرف الأخير وهو يتنوع إلى نوعين:

١- السجع المطرّف: وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت رويًا نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۚ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَرًا ۚ﴾^{٨٢}

٢- سجع الترصيع: وهو عبارة عن مقابلة لكل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظه على وزنها ورويها. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۚ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۚ﴾^{٨٣}.

٣- السجع المتوازي: وهو عكس سجع الترصيع وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في آخر كلمتين فقط. كما في قوله: الحمد لله الذي شرفنا باتباع سيد الكائنات، وجعل الديانة الإسلامية فوق جميع الديانات، وهدانا إلى الحق بالآيات البينات، السجع في (الكائنات - الديانات - البينات). هذه الكلمات مسجوعة بالألف والتاء.

وكما في قوله: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الصائم القائم وعلى آله وأصحابه الأكابر وأولو المكارم، ما تعاقب الجديدان أو كررت المواسم،

السجع بين (المكارم - المواسم)

وكما في قوله: لقد أظلمكم شهر الصيام والقيام، شهر تلاوة القرآن وإطعام الطعام، شهر مواساة الفقراء والمساكين والأرامل واليتام.

السجع بين الفواصل (القيام- الطعام - الأيتام)

وكما في قوله: فشمروا لطاعة الله عن سواعدكم بجد واجتهاد بالجوع والعطش تأخذون عن أحوال الفقراء والبؤساء خير دروس، وبالإمساك عن الطعام والشراب وفضول الكلام تهذب النفوس.

السجع بين الفاصلتين (دروس - النفوس)

وكما في قوله: أيها المسلمون! إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وتجلى ربنا بالجدود على عباده الأخيار.

السجع بين (النار - الأخيار)

^{٨٢} علم البديع مصدر سبق ذكره ص:

٢- سورة نوح الآية ١٣-١٤

٣- سورة الانشقاق الآية ١٣ - ١٤

^{٨٣} سورة الانشقاق الآية ١٣-١٤

وكما في قوله: فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ويا مؤمنا بالقرآن تقدم ويا معرضا عن موائد الإحسان أدبر، وإن شئت فصم معنا وإن استحوذ عليك الشيطان فافطر، فإن رحمة الله قريبة من المحسن المستغفر، وعذابه شديد على المسي المتكبر.

السجع بين (اقصر – أدبر – فافطر – المستغفر – المتكبر).

وكما في قوله: وفي ملكوت الله تفكروا، وإذا دعيتم إلى الخير فلبوا وبادروا، ولا تكونوا من الذين إذا قيل لهم لا إله إلا الله استكبروا، وولو على أدبارهم نفورا ولم يستغفروا، وصوموا نهار رمضان وقوموا لياليه وأتلوا كتاب الله وتدبروا، ولا يغرنكم الذين تهاونوا بالدين فافطروا، وتجهروا بالقول وبالجرءة على الله تظاهروا.

السجع في (تفكروا – بادروا – استكبروا – يستغفروا – تدبروا – فافطروا – تظاهروا)

فهذا السجع قد زاد من رونق الخطبة وقوة تأثيرها في نفوس المستمعين، وجذب انتباههم إليها، لأنه أعطى نغمة موسيقية جميلة ترتاح لها الأذن وتطرب لها النفس.

الإقتباس: هو تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما.^{٨٤}

كما في قوله: ﴿وَمَا تَقْرَءُوا لَأنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٨٥

وكما في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾^{٨٦}

وكما في قوله: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّالِغِينَ لَشَرَّ مَعَابٍ﴾^{٨٧} جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَيَسَّ الْيَهَادُ^{٨٨} وغير ذلك

من الآيات.

نجد الخطيب ضمن كلامه في الخطبة بالآيات من غير أن يصرح بأنها من القرآن الكريم، فغرضه ان يكشف عن مهارته، في أحكام الصلة والآيات التي أخذها من القرآن الكريم، فلاقتباس يكسب الكلام حسنا وطلاوة، فبذلك يصغى إليه المستمعون ويدركون مهارته.

علم المعاني

قد عرف السكاكي علم المعاني: (إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الإستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره).^{٨٨}

^{٨٤} عبد العزيز عتيق، علم البديع ص: ٥٢

^{٨٥} سورة المزمل الآية ٢٠

^{٨٦} سورة ص الآية ٥٤

^{٨٧} سورة ص الآية ٥٥-٥٦

^{٨٨} الدكتور عبد العزيز عتيق – علم المعاني دارالآفاق العربية ص: ١٩

فائدته: بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها والمعاني المستفادة من الكلام ضمنا بمعونة القرائن.^{٨٩}

الخبر: هو ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا.

أغراض الخبر

١/ إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر. يتمثل في جميع الأخبار التي يبغى المتكلم من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء أو أشياء، يجهلها. مثل الخبر التاريخي عن معاوية بن أبي سفيان (أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم أربع سنين من خلافته... الخ

٢/ إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى ذلك لازم الفائدة. وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه أنه عالم بحكم الخبر. مثل إنك لتكظم الغيظ.

بالإضافة إلى هذين الغرضين قد يلقي الخبر لأغراض أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال:

أ/ إظهار الضعف ب/ الاسترحام والاستعطاف ج/ إظهار التحسر د/ المدح

هـ/ الفخر و/ الحس على السعي والجد.

النداء: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل (أدعو) وأحرف النداء ثمان هي: الهمزة، وأي، ويا، وأيأ، وهيا، وآ، وأي، ووا.^{٩٠}

أنواع النداء

النداء نوعان

١- الهمزة وأي لنداء القريب، نحواً محمد افتح النافذة التي بجوارك

الأدوات السبع الباقية لنداء البعيد وهي أي، ويا، وأيأ، وهيا، وآ، وأي، ووا.٢

فقول الخطيب (عبادالله) نداء يراد به التنبيه، فإن لسان مقاله يقول: يا عبادالله انتبهوا واستمعوا إلى قولي، وكذلك في قوله (أيها المسلمون) نداء يراد به التنبيه، فهو للإشعار بأن السامع غافلاً له فعده كأنه غير حاضر في مجلسه، فالخطيب في ندائه هذا قام بحذف أداة النداء وهي: (يا) ليخص المنادى بما يأتي بعد النداء، وهذا ضرب من أغراض النداء، فكأنه يقول: (يا عبادالله) (يا أيها المسلمون) أخصكم بهذه النصيحة دون غيركم من الناس.

^{٨٩} نفس المرجع السابق ص: ٢٦

^{٩٠} الدكتور عبد العزيز عتيق، علم المعاني ص: ٩١

٢- نفس المرجع نفس الصفحة

فالنداء يجعل المستمعين ينتمون إلى قول الخطيب، وبذلك يستفيدون من الخطبة. وفي قوله أيها المسلمون! اشغلوا أنفسكم..... فهنا أيضا حرف نداء محذوف مقدر، تقدير الكلام يا أيها المسلمون...

الأمر: هو طلب الفعل على وجه الإستعلاء والإلزام.^{٩١}
صيغ الأمر:

أ/ فعل الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.....^{٩٢}

ب/ المضارع المقرون بلام الأمر: نحو قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.....^{٩٣}

ج/ اسم فعل الأمر: ومنه (عليكم) اسم فعل أمر بمعنى (الزموا) نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.....^{٩٤}

د/ المصدر النائب عن الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.....^{٩٥}. كلمة إحسانا بمعنى وأحسنوا إلى الوالدين إحسانا، قد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي: وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، للدلالة على معاني أخرى يحتملها لفظ الأمر، وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال. ومن هذه المعاني:

١/ الدعاء: وهو الطلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع والعفو والرحمة وما أشبه ذلك، وهو يكون بكل صيغة للأمر، يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأنا، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.....^{٩٦}. كلمات الأمر أو الدعاء هي: فأغفر لنا- كفر عنا – توفنا.

أغراض الأمر

- ١/ الاستعلاء والإلزام ٢/ الدعاء ٣/ الالتماس ٤/ التمنى ٥/ التخيير ٦/ الإباحة ٧/ التعجيز ٨/ التسوية ٩/ الإهانة والتحقيق.

^{٩١} عبد العزيز عتيق، علم المعاني ص: ٩١

^{٩٢} سورة المدثر الآية ٤٣

^{٩٣} - سورة قريش الآية ٣

^{٩٤} - سورة المائدة الآية ١٠٥

^{٩٥} - سورة الأنعام الآية ١٥١

^{٩٦} - سورة آل عمران الآية ١٩٣

^{٩٧} - سورة الرحمن الآية ٧٢

^{٩٨} - علم المعاني مصدر سبق ذكره ص

وفي قول الخطيب: فشمروا لطاعة الله عن سواعدكم بجد واجتهاد بالجوع والعطش، تأخذون عن أحوال الفقراء خير دروس وفي قوله: أشغلوا أنفسكم وألسنتكم بحمد الله وشكره، وعَمِّروا مساجد الله بحضور الصلوات فيها والاجتماع لتعظيم الله. وغير ذلك من صيغ الأمر التي هي: فجدّوا يا عباد الله! في طاعة الله ولا تُقَصِّروا، وفي ملكوت الله تفكروا.

وإذا دعيتم إلى الخير فلبوا وبادروا، وصوموا نهار رمضان، وقوموا ليلاليه. واتلوا كتاب الله وتدبروا. واتقوا الله ورباطوا وصابروا وصابروا.

كلمات الأمر هي: (فشمروا - وأشغلوا- وعمِّروا- فاجِدُوا- ولا تقصروا- تفكروا) فبالأمر ينبه الخطيب المسلمين للاستعداد لإستقبال شهر رمضان ليعملوا فيه أعمال الخير ويتقوا الله.

القصر لغة: الحبس والإلزام، ومن القصر بمعنى الحبس ٣ قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٧٢﴾ أي قصرن وحبسن على أزواجهن، فلا يطمحن لغيرهم.

القصر في الاصطلاح: تخصيص أمر بآخر عن طريق مخصوص ١.

طرق القصر: ١/ النقي والاستثناء ٢/ إنما ٣/ العطف بلا أو بل أو لكن ٤/ تقديم ماحقه التأخير.

أقسام القصر: ينقسم القصر إلى قصر حقيقي وقصر غير حقيقي:

القصر الحقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه

إلى غيره أصلاً ٢. نحو قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ٩٨﴾

القصر هنا قصر صفة على موصوف، الصفة لا تتعدى موصوفها إلى موصوف آخر مطلقاً، فالتذكر صفة لا تتجاوز أولى الألباب إلى غيرهم في الحقيقة والواقع.

٢/ القصر الإضافي (غير الحقيقي): وهو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين مثل

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ١٤٤﴾ ٩٩ القصر هنا قصر موصوف على صفة، المقصور هو

(محمد) مختصاً بالمقصور عليه بالإضافة، أي بالنسبة إلى شيء معين لا إلى جميع ماعده.

ففي قول الخطيب: "وأشهد أن لا إله إلا الله، هذا الضرب من القصر قصر صفة على

موصوف، وفي هذه الجملة تخصيص الألوهية والربوبية بالله تعالى وحده لا غيره.

طريق القصر هنا النفي والإستثناء (لا - إلا)

٩٨ سورة الزمر: ٩

٩٩ سورة آل عمران: ١٤٤

تحليل خطبة التقوى

نص الخطبة

المقدمة

الحمد لله العلي العظيم الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، وله ملك السموات والأرض وما تحت الثرى^{١٠٠} الملك الحق المبين الذي على العرش استوى، فسبحانه من إله عظيم وسع كل شيء رحمة وعلمًا...

أما بعد:

فيأيها الناس اتقوا الله تعالى لقد طال إعراضكم عن النبي العظيم، تغافلا وجهلا، وكثر اشتغالكم بالحطام الفاني الأدنى، وما راقب لكم على ما يصد عن الصراط السوي والهدى، وحزنكم على ما فات من عرض^{١٠١} الدنيا....

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد فيا إخوة الإسلام، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلانية، واجعلوا الله قبلة لكم في كل أمر من أمور دنياكم وآخرتكم.

التعليق على الخطبة: في هذه الخطبة ينبه الشيخ عثمان البشير المسلمين بعدم الاشتغال بالدنيا عن الآخرة، فدعاهم أن يعتبروا من الحوادث والأخبار، وأن يتقوا الله ويطيعوه في السر والعلانية، فاختار لذلك الألفاظ الجميلة السهلة المأخذ التي يفهمها الجميع.

التكرار في الخطبة:

ونجد الشيخ يكرر لفظ "اتقوا الله" وما في معناه أربع مرات "فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى لقد طال إعراضكم عن النبي العظيم".

"فاتقوا الله عباد الله واعملوا ليوم العرض والجزاء".

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾^{١٠٢}...

"أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلانية".

^{١٠٠} الثرى بمعنى التراب الندي ١هـ مختار الصحاح

^{١٠١} أي متاع وهو كل سوى الدراهم والدنانير ١هـ مختار الصحاح

^{١٠٢} سورة لقمان الآية ٣٣

ثانيا شكل خطبة الشيخ

وهي دائما مبدوءة بالحمدلة والصلصلة، ويفرق بين المقدمة والعرض بأما بعد، وكان غالبا ما يوحى بما في مضمون العرض.

الألفاظ

الألفاظ في خطب الشيخ فصيحة لا غبار عليها، وكأنه يحاول دائما مجانية الغريب الوحشي حتى لا يستثقله سمع ولا ينفر منه طبع، فبدت الخطبة واضحة المعنى، سهلة الألفاظ. مثل قوله: دعته العبر إلى الاعتبار فلم يعتبروا ولم يفيقوا، ففاجأهم أمر الله بغتة وأصيبوا.

المحسنات المعنوية

الطباق

ففي هذا الأنموذج:

فقول الخطيب إخوة الإسلام! أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلانية، نجد الطباق بين كلمتي (السر والعلانية) فكلمة السر ضد كلمة العلانية، فالتالي فهو طباق إيجاب. وقوله واجعلوا الله قبلة لكم في كل أمر من أمور دنياكم وآخرتكم، الطباق بين اللفظتين (دنياكم وآخرتكم) فكلمة دنياكم عكسها آخرتكم فالطباق هنا طباق إيجاب. وقوله فالإنسان إما أن يكون في طاعة وإما أن يكون في معصية، الطباق بين كلمتي (طاعة ومعصية) لأن طاعة ضدها معصية فالطباق إيجابي. وفي قوله: سل عنهم تلك القبور الدائرة، والعظام الناخرة، والقصور الدامرة، الطباق بين كلمتي (القبور – القصور) طباق إيجاب. وقوله وكيف كان السؤال والجواب، وإلى أين صار المستقر والمنتهى والمآب. نجد الطباق بين كلمتي (السؤال – والجواب) و(المستقر – المآب). ويرى الباحثون أن الطباقات كلها إيجابية، فهذه الطباقات الإيجابية شكلت وحدات موسيقية جميلة، أدت إلى الانتباه إلى الموضوع ورسوخه في النفس، وإبراز المعنى وتوكيده.

المحسنات اللفظية

١- الجناس

فقول الخطيب: دعته الرسل إلى ما خلقوا له فلم يجيبوا، وأوضحت لهم الكتب ما أمروا به فلم يلتفتوا ولم ينيبوا. فالجناس حاصل في كلمتي (يجيبوا – ينيبوا)، فمعنى كلمة يجيب يلبي ومعنى كلمة ينيب بمعنى يقيم مقامه أو ينوب عنه فالكلمتان مختلفتان في المعنى ومتشابهتان في اللفظ، فهذا الجناس غير تام لاختلافهما في حرف واحد (الجيم) في يجيبوا (والنون) في ينيبوا. فقد زاد الجناس في رونق الخطبة وجمالها، مما أدى إلى تحريك مشاعر مستمعيه.

٢- السجع

وقد استحسن الشيخ عثمان البشير في التسجيع في خطبه لأنه جاء رصين التركيب، سليماً من التكلف، خالياً من التكرار في غير ما فائدة فصار لها شيء من الموسيقى ذات تأثير في النفوس. فمن الشواهد في هذه الخطبة قوله: "دعتهم الرسل إلى ما خلقوا له فلم يجيبوا، وأوضحت لهم الكتب ما أمروا به فلم يلتفتوا ولم ينبوا، فالسجع بين كلمتي (يجيبوا - ينبوا) وهذا النوع من السجع هو السجع المتوازي، لأن كلمتي (يجيبوا) و (ينبوا) متفقتان في الوزن، والروى.

السجع بين كلمتي (يجيبوا - وينبوا)

وقوله سل عنهم تلك القبور الدائرة، والقصور الدامرة،

فالسجع بين كلمتي (الدائرة، الدامرة) وهو من السجع المتوازي أيضاً، لاتفاق كلمة الدائرة،

وكلمة الدامرة في الوزن والروى.

وفي قوله: وكيف كان السؤال والجواب، وإلى أين صار المستقر والمنتهى والمآب، فالسجع هنا بين كلمتي (الجواب، المآب) فهذا النوع من السجع المطرف لأن كلمة الجواب وكلمة المآب مختلفتان وزناً ومتفقتان رويًا.

فهذا السجع بدوره قد زاد من رونق الخطبة وقوة تأثيرها في نفوس المستمعين.

الاقتباس

فقول الخطيب: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{١٠٣} وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^{١٠٤} نجد الخطيب ضمن كلامه في الخطبة بالآيات من غير أن يصرح بانها من القرآن الكريم، فغرضه ان يكشف عن مهارته، في أحكام الصلة والآيات التي أخذها من القرآن الكريم، فالأقتباس يكسب الكلام حسنا وطلاوة.

النداء

فقول الخطيب (أيها الناس) نداء يراد به التنبيه، فإن لسان مقاله يقول: يا أيها الناس انتبهوا واستمعوا إلى قولي، وكذلك في قوله إخوة الإسلام نداء يراد به التنبيه، فهو للإشعار بأن السامع غافلاً عنه فعده كأنه غير حاضر في مجلسه، فالخطيب في ندائه هذا قام بحذف أداة النداء وهي: (يا) ليخص المنادى بما يأتي بعد النداء، وهذا ضرب من أغراض النداء، فكأنه يقول (يا أيها الناس) يا إخوة الإسلام أخصكم بهذه النصيحة دون غيركم من الناس.

^{١٠٣} سورة النحل الآية ١٢٥

^{١٠٤} سورة لقمان الآية ٣٣

فالنداء يجعل المستمعين ينتهون إلى قول الخطيب.

الأمر

في قول الخطيب: "اتقوا الله تعالى، وقوله: واعلموا ليوم العرض والجزاء. وقوله: ولا تكونوا ممن أعرض عن ذكر ربه ولم يرد إلا الحياة الدنيا، وقوله واجعلوا الله قبلة لكم في كل امر من أمور دنياكم وأخرتكم.

فالامر هنا يفيد النصيح والإرشاد، فالخطيب أمرهم ان يتقوا الله وحده لا شريك له، وان يجعلوا الله قبلة لهم في أمور دنياهم، وأن لا يكونوا مثل الذين أعرضوا عن ذكر ربهم وارادوا الحياة الدنيا، فبالأمر ينتهوا إلى أخطائهم ويتركونها، ويعملوا بأعمال الخير ويتقوا الله.

الاستفهام

الشاهد في قول الخطيب: "أما أيقظكم ما رأيتموه من حوادث القدر والقضاء؟ الاستفهام هنا للعرض بالدخول إلى الجملة الفعلية (أيقظكم) وعظكم) فهذا الاستفهام طلب شيء بلين ورفق، فطلب الخطيب من المستمعين يتعظوا بحوادث القدر والقضاء وبأخبار من غبر ومضى، وطلب منهم هذا الطلب بالرفق واللين، وفي قوله كيف وجدوا عقوبات الذنوب؟ فالخطيب هنا سأل المستمعين عن حال الذين مضوا كيف حالهم عندما وجدوا عقوبات الذنوب، فطلب منهم ان يتصوروا حال الذين وجدوا عقوبات الذنوب وكيف كانت حالهم عند السؤال والجواب، فجعل المستمعين يتصورون حالهم. وقوله هل وجدوا من دون الله ملجأ، هل هنا للتصديق، فهذا الاستفهام أراد الخطيب من المستمعين ان ينتهوا إلى أعمال الخير التي تنجمهم من سخط الله تعالى.

وفي قوله: سل عنهم تلك القبور الدائرة؟ والقصور الدامرة؟ تفيد التهكم والتحجير. وتلت ذلك استفهامات ذات أغراض شتى، كالإرشاد في قوله: "أما أيقظكم ما رأيتموه من حوادث القدر والقضاء؟ أما وعظكم ما سمعتموه من أخبار من غبر ومضى؟.... وفي هذه الاستفهامات تهويل: كيف كان الحال ممن طغى وبغى؟ "وإلى أين صار المستقر والمنتهى والمآب؟" "هل وجدوا من دون الله ملجأ؟ هذه الإستفهامات تدل على تفنن الشيخ في الخطابة.

الخبر

في قول الخطيب بل حرموا الفوز برضى ربهم والجنات، هنا أشعر النفوس بالتحسر والندم، فاخبرهم بأن الذين مضوا حرموا الفوز برضاء ربهم وبذلك حرموا من الجنة. فالخطيب أخبرهم ان ينتهوا ويشعروا بالندم على ما مضى وينتبهوا إلى أعمال الخير.

وقوله: فالانسان أما أن يكون في معصية، وأما ان يكون في مباح، وإما أن يكون في طاعة... هنا يفيد الخبر النصيح والإرشاد.

فبالخبر ينتبه المستمع إلى أخطائه ويتق الله لكي ينال رضاء الله ودخول الجنة.

القصر

ففى قول الخطيب: الحمد لله العلى العظيم، هذا الضرب من القصر قصر صفة على موصوف. في الجملة تخصيص الشكر بالله تعالى لا يتعداه إلى غيره.

وفي قول الخطيب: "وأشهد أن لا إله إلا الله، هذا الضرب من القصر قصر صفه على موصوف، وفي هذه الجملة تخصيص الألوهية والربوبية بالله تعالى وحده لا غيره.

وقول الشيخ: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. هنا قصر صفة على موصوف، تخصيص الرسول صلى الله عليه بالرسالة.

الخاتمة

من خلال تحليل نماذج مختارة من الخطب المنبرية للشيخ عثمان البشير آدم، خلصت هذه الدراسة البلاغية إلى عدة نتائج مهمة:

- برع الشيخ البشير في توظيف البلاغة العربية وأساليبها البيانية في خطبه، بما أضفى عليها جمالاً وإقناعاً وتأثيراً على المتلقي.
- اتسمت خطب الشيخ البشير بالتنوع في الأساليب البلاغية، فقد مزج بين الأسلوب الخبري والإنشائي، والاستفهام والنداء، والتشبيه والاستعارة، مما أضفى على خطبه حيوية وإثارة.
- رز في خطب الشيخ البشير التوازن بين الجانب العقلي والجانب العاطفي، فكان يخاطب عقول المستمعين بالحجج والبراهين، ويستثير مشاعرهم بالصور البلاغية المؤثرة.
- ساهمت البلاغة في خطب الشيخ البشير في تحقيق الأهداف الدعوية والتربوية المنشودة، من خلال إقناع المستمعين وحثهم على التمسك بالدين والأخلاق الفاضلة.

وفي ضوء هذه النتائج، يمكن القول إن خطب الشيخ عثمان البشير آدم تعد نموذجاً متميزاً للخطابة المنبرية الناجحة، التي تجمع بين الجانب البلاغي والجانب الموضوعي، مما جعلها قادرة على التأثير في المتلقي وإيصال الرسالة

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الأحاديث النبوية
- أحمد الهاشمي جواهر الأدب ج/١ ص: ٤٦٠
- ابن منظور لسان العرب، المجلد الأول، ص: ٣٦١
- الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص: ١٧٨

- أحمد علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء الناشر: دار دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨٧، تحقيق: د.
- أحمد محمد الجوقي، فن الخطابة مرجع سبق ذكره ص: ٩١
- آدم حسن التوم، زاوية الشيخ محمد البشير غمبارو – انغالا ودورها في نشر الثقافة العربية، بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة ميدغري قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ١٩٩١ م ص: ٢٩
- أحمد حسن الزياد، تاريخ الأدب العربي،
- الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق د. دوريش جويدي بيروت لبنان ٢٠٠٨ م ج ١/ ص: ٢٤١
- جرجي زيدان تاريخ الأدب العربي، ص: ٤٥
- حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي الطبعة البوليسية دار المعارف ١٩٦٠ م ص: ٢٠٠، و ٢٠١
- خفاجي، محمد عبد المنعم الدكتور، الشعر الجاهلي ص: ١٥٢
- سالم عطية محمد (الشيخ) أصول الخطابة والإنشاء المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص: ١٢٥
- شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، ج ٢/ ص: ٤٠٤، ٤٠٦
- عبد البستاني معجم لغوي مطول جزءان ، مكتبة لندن ١٩٩٢ ص: ١٨٥
- محمد عثمان أبوبكر، (الدكتور) نخبة من العلماء العرب في منطقة غمبورو انغالا وآثارهم العلمية من ١٩٦٥ إلى ١٩٩٩، (د.ت) ص: ٢٧
- موسى كليم القالي، علماء غمبورو انغالا وإنتاجاتهم الأدبية بحث تكميلي مقدم لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة ميدغري قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ١٩٩٥ م ص: ٤٠